مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

قِرَاءَةٌ مُقَارَنَةٌ لِمَفْهُومِ الصَّدَاقَةِ فِيْ رِوَايَاتِ: "هِجْرَةُ السُّنُونُو"لِحَيْدَر حَيْدَر، "مُغَامَرَات هكَلْبِيرِيْ فِنْ" لِمَارك تُوِين،"الأُمُّ"لِمَكْسِيْم غُوْرِكِيْ أُنْمُوْذَجَاً.

الدكتور عيد حسن محمود**

محمّد سليم عبد الرحمن*

(تاريخ الإيداع 6 / 6 / 2017. قبل للنشر في 14 / 9 / 2017)

□ ملخّص □

يتناول البحث الصداقة ليست بوصفها علاقة اجتماعيّة إيجابيّة حافلة بالقيم الأخلاقيّة الثرّة فقط ، بل بِعدِّها أساساً وجوديّاً مهمّا يستنبط الذّات الإنسانيّة على مستوى الحياة؛ انطلاقاً من أهميّة وجود الصديق في استيعاب الطّرف المقابل ، الذي يمثّل الشخصيّات الرئيسة في الأعمال الروائيّة المتناولة بالبحث. يقوم البحث على تقديم مقاربة اجتماعيّة- فلسفيّة، تستنبط مفهوم الصداقة من منظورٍ مقارن، يجمع بين أعمال روائيّة مختلفة في الزمن والموضوع ؛ من أجل إيصال كنه العلاقة التي تتجاوز كونها رابطاً احتوائيّاً؛ يتعايش فيه الصديق مع صديقه، إلى مُحاور الذّات ، و استنطاق الآخر في الشخصيّات الرئيسة، الذي يكشف عن أكوانها الوجوديّة الخاصّة، المُتشكّلة من تلاحم فضاء التجربة الحياتيّة مع أفق الواقع، الذي ترسمه العلاقة بصيرورةٍ ديناميّتها. يخلص البحث إلى أنّ الصداقة خطاب حيويّ فعّال، يستنبطُ فيه الطّرف الأقوى عقلانيّة ذات الطرف الأضعف اجتماعيّاً ، يُفصح عنها ، مبيّناً موقفها من نفسها و العالم من حولها.

الكلمات المفتاحيّة: الصداقة، الصديق، الذات ، الشخصيّة الرئيسة، استنباط، قراءة مقارنة.

** أستاذ مساعد . قسم اللغة العربية. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

*طالب ماجستير(الدراسات الأدبيّة). قسم اللغة العربيّة. كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة . جامعة تشرين . اللاذقية . سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (39) العدد (5)2017
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (39) No. (5) 2017

Acomparative interpretation of friendship concept in Haidar′s Hijret Al-Sonono, Huckleberry Finn Adventure′s by Mark Twain, The Mother by Gorky.

Eid Hassan Mahmood[**]
Mohmmed Saleem Abd al-rahman[*]

(Received 6 / 6 / 2017. Accepted 14 / 9 / 2017)

□ ABSTRACT □

Friendship is not a positive social relationship full of moral values .Rather ,it is an essential existential component that has to do with the human soul on all levels starting from the significance of a friend in understanding the other, who represents the major characters in the handled novels of research .The research aims at representing a social-philosophical compromise of friendship from a comparative perspective dealing with three novels different in time and theme to get the relation which exceeds being an embodiment with which the friend lives with his friend to the self and the other in the major characters which its special world shaped by blending the life experience with the reality portrayed shaped by this relation.In conclusion ,it aims that friendship is a vital active discourse .The most rational part derivate the self of the social weak part , to show his opinion toward self and world.

Key words:friend,friendship,self,character, other , derivation ,comparative reading.

[**]**Professor Assistant- Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.**
[*]**Postgraduate Student(Literary Studies)- Arabic Department-Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Lattakia-Syria.**

مقدّمة:

اكتسب موضوعُ العلاقات بين الأشخاص أهميّة كبيرة جعلت منه فرعاً غير تقليديّ في الدّراسات الاجتماعيّة و النفسيّة.... إلى درجةٍ دفعت بعض الباحثين إلى الظّن بأنّه **((سيحتلّ موقع الصدارة في ميدان علم النّفس الاجتماعيّ[1]))**؛ نتيجة ارتباط العلاقة الوثيق مع عددٍ من فروع العلم والمعرفة من مثل: علم الاجتماع والنّفس و الأنثروبولوجيا(الأناسة) وغيرها من العلوم ذات الصّلة الوطيدة بمُشكلات الإنسان وهمومه و آماله.

ولا يَخفى على أحدٍ أهميّة الدّور الّذي تؤدّيه الصداقة، بوصفها نمطاً إنسانيّاً راقياً من العلاقات الاجتماعيّة،في حياة المرء وتنشئته، بوصفه كائناً اجتماعيّاً؛ نظراً لِما تمنحه من طاقاتٍ تدفعه إلى الاندماج مع المحيط،وهذا يقوده إلى الإحساس بكينونته الوجوديّة من خلال تعامله مع الآخرين ،على نحوٍ يُؤمّن له الاستقرار النّفسيّ ، والأداء الاجتماعيّ المتوازن. و تقوم الرواية على مجموعة من العلاقات الاجتماعيّة المُتبادلة بين الشخصيّات ، و منها الصداقة التي تأخذ أبعاداً تتجاوز العلاقة الإيجابيّة الثرّة التي ترى في الصديق المُشارك ،والمُساند في الأوقات الحرجة؛ إلى ما يمسّ وجود الإنسان الذي يبحث عن ذاته في الحياة.

أهميّة البحث وأهدافه:

لم نَلحظ دراساتٍ مُعاصرة سابقة أفردت البحث في موضوع الصداقة من منظور نقديّ،فمُعظم ما قُدّم في هذا المجال يتوقّف على التراث العربيّ الذي حَفل بمواطن دلّل فيها على قيمة الصداقة والصديق، أمّا هذه الدّراسة فتتناول المفهوم من وجهةٍ مُقارنة بالتركيز على أعمال روائيّة من الآداب: العربيّة، الأميركيّة، و الروسيّة،هذا ما يُثري إيصال كَنهِ المفهوم من ناحيتيّ الدّراسة : المعالجة و التناول. بناءً على ذلك،يَهدف البحث إلى استقراء مفهوم الصداقة ، بوصف الصديق كاشفاً ومُفصِحاً عن الذات، بالاعتماد على الشخصيّة المُقرّبة من الشخصيّة الرئيسة في الأعمال التي بُنيَ عليها البحث.ويرمي أيضاً إلى استنتاج أوجه التشابه والاختلاف من خلال مُقاربةِ المفهوم من منظور الاتجاه الروسيّ في الأدب المُقارن.

منهجيّة البحث:

يتّبع البحث المنهج المقارن من ناحية جمعه لنصوصٍ مُختلفة في اللّغة و الموضوع ، و انفتاحه على المناهج النقديّة الأخرى من مثل : المنهج الوصفيّ ، من دون أن يغفل المعطيات النصيّة. و يطوّع البحث مقولة التشابه والاختلاف، من دون الغوص في الإطار التاريخيّ للنصوص الروائيّة المتناولة بالبحث ، مُستفيداً من أدوات الاتّجاه الروسي المقارن، التي تركّز على البعد الاجتماعيّ للنص.

النتائج والمناقشة:

أوّلاً:مفهومات نظريّة:

ـ الصداقة والصديق لغةً: يُحيل المعنى المُعجميّ العربيّ إلى اقتران لفظتيّ الصداقة والصديق بالأخلاق والإنسانيّة والتآلف بين طرفيّ العلاقة،إذ جاء في المعجم: **((صَدَقَ صِدْقاً وصُدْقاً و مصدوقة ضدّ كذب في وعده أو**

---

[1]) د.أبو سريع ،د. أسامة سعد.*الصّداقة من منظور علم النّفس*، سلسلة عالم المعرفة العدد 179ـالكويت،1993،ص54.

وعيده الصّدق:نقيض الكذب يُقال رجلٌ صِدقٌ وصَديق.صدقٌ أي صادقٌ في الرّجوليّة والصّداقة لا يخون.والصّداقة المحبّة بالصّدق،والصّديق ج. أصدقاء و صُدقاء وصُدَقا.الصّديق:الخلّ الحبيب، و هو مشتقٌّ من صدقه[1])).

ـ الذّات(self)اصطلاحاً: الذات هي: النّفس والشّخص، و هي أيضاً الماهيّة بمعنى **((ما به الشّيء هُو هُو، و يُراد به حقيقة الشّيء،و يُقابله الوجود [2]))** ، و يُعرّفها **المُعجم الفلسفيّ** الصادر عن **مجمع اللّغة العربيّة** بقوله: **((ما بِهِ الشّعور والتّفكير[3]))**.

–**الاستنباط:**هناك طريقتان شائعتان للتفكير هما: الاستنباط و الاستقراء ، و يهدف الاستنباط: إلى الوصول إلى نتيجة معيّنة ؛ **بأن يُبرهن على أنّها تنجم بالضرورة أو تُستخلَص انطلاقاً من مبدأ أو حقيقة ذات طابعٍ عام، ماثلين في المقدمّة المنطقيّة. فتتجه حركة الفكرة المُصرَّح بها أو الضمنيّة ، دائماً من الكليّ إلى الجزئيّ على عكس الاستقراء من الجزئيّ إلى الكليّ.[4]**

–**استراتيجيّة المقارنة***:ينطلق الاتجاه الروسيّ في الأدب المقارن من خلال تطويع المُقارنة كاستراتيجيّة تُحاور فيها النصوص بغضّ النظر عن البُعد أو التّقارب الجغرافيّ، باحثة عن نقاط التشابه فيما بينها، التي تولّد حتماً نقاط اختلاف. إنّ مقولة التشابه جاءت تفسيراً حيويّاً، يُبعد المقارنة عن ضيق العلاقات التاريخيّة الجامدة التي تستوجب تأثّر اللّاحق بالسابق على نحوٍ نمطيّ يحصر المقارنة بوظيفة الأداة التي تعاين النصوص المدروسة ميكانيكيّاً، أمّا الجديد في فكر الاتّجاه الروسيّ ، فهو تحويل التشابه إلى مقدرة تراكميّة تستقطب سوسيولوجيّة النصّ ؛على افتراض أنّها تُقارب مجتمعاً حيويّاً يعجّ بالأحداث والمشكلات المتشابهة في المحتوى، و المختلفة في التعبير عنها ، ومنه فإنّ مقولة التشابه تعوّل على المقارنة بوصفها استراتيجيّة تحاور النصوص و تغوص في حركيّتها، التي تعدّ الأدب((**إيديولوجيا اجتماعيّة تتوّلد في إطار واقع محدّد تاريخيّاً[5]))**.

أمّا مقولة الاختلاف ، فتنطلق من وظيفة مقولة التشابه التي تقرّب بين النصوص الخاضعة للمقارنة، بوصفها، صوراً تقدّم فكرة عن المجتمعات التي تعبّر عنها، حيثُ إنّ الأنساق المجتمعيّة واحدة ، تتلقّفها أنثروبولوجيّة معيّنة تحتّم وجود فروقات متباينة ، يمكن الارتكاز عليها في عمليّة المقارنة أكثر من التشابهات ، التي يستوجب الإشارة إلى أنّ طبيعتها ليست إحصائيّة ، بل نقديّة تمتح من حوار القارئ للنصّ من الدّاخل الذي يعني المضمون ، ومن الخارج الذي يربط المضمون بآليّات التلقي ، التي تجعل من مقولة الاختلاف ضرورة قصوى تعزّز من التشابه الذي ينحرف عن كونه برهاناً على شموليّة النصوص، إلى أفق أبعد من الاختلاف الإيديولوجيّ، وأقرب إلى التنوّع الفكريّ المعرفيّ الذي

---

[1]) *المنجد في اللّغة والأعلام*. طبعة جديدة ومنقّحة ط42، دار المشرق ـ بيروت،2007،مادّة:صدق.

[2])صليبا،جميل. *المعجم الفلسفيّ*،د.ط، دار الكتاب اللبنانيّ ومكتبة الأسرة، 1982 ،ص 579.

[3])*مجمع اللغة العربيّة*.المعجم الفلسفيّ،د.ط، المطابع الأميريّة ـ القاهرة ـ مصر، 1983،ص 473.

[4]) يُنظر: فتحي، إبراهيم. *معجم المصطلحات الأدبيّة*.ط1،المؤسّسة العربيّة للناشرين المتّحدين، 1986،ص 17ـ 18.

*تجدر الإشارة إلى أنّ البحث يتناول الأعمال الروائيّة من منظور الاتجاه الروسيّ ،من دون الغوص في الظروف السياسيّة والاجتماعيّة التي تحيط بها، بل من خلال تطويع المعطيات النصيّة التي تُلامس تلك الظروف في توصيف مفهوم الصداقة ، وقراءة أوجه التشابه و الاختلاف، والتعويل على مقولة الاختلاف.

[5]) ينظر: جيرمونسكي، فيكتور مكسيموفيتش. *علم الأدب المقارن، شرق و غرب* . ترجمة و تقديم: د. غسّان مرتضى، ط 1، 2004، ص 15.

يقرن الاختلاف بالمتعة ،و الائتلاف الخلّاق حيث ((**إنّ وجود التشابهات لا ينفي وجود تباينات مهمّة بين الأعمال الأدبيّة ؛ تمليها الاختلافات في التطوّر الاجتماعيّ التاريخيّ بين البلدان موضوع الدّراسة**[1])).

ثانياً:العلاقة بين الصداقة والذات:

لقد عرّف **أرسطو** الصّديق مُنطلقاً من الدّور البارز الّذي يؤديه في حياة المرء الاجتماعيّة والنّفسيّة،إذ يَراه صورةً مُطابقة للشخصيّة ؛ أي شخصيّة صديقه. و هو مَن يُلازمه ويتمرّس بطباعه حتّى يغدو شبيهه إلى درجة التّماثل في الآراء والأفكار والطّباع،قائلاً عنه: ((**إنسانٌ هو أنت، إلّا أنّه بالشّخص غيرك**[2])).يفترض **أرسطو** أنّ معرفة شخص آخر تُمكّننا من معرفة أنفسنا، فتسمح لنا رابطة الصّداقة أن نُدرك ذواتنا من خلال الآخر،ويدافع عن وجهة نظره في معرفتها بأنّ المرء لا يمكنه أن يُقيّم ذاته من خلال نظرته إليها؛لأنّه حتماً **سيَنزع نحو تَضخيم فضيلتها ويتغاضى عن مواطن الضّعف فيها،هذا ما سيُوقعه في عادة تعظيمها وتبجيلها،** [3]لذلك فالصّديق في هذا المقام هو:الكاشف عن الذّات كونه مرآة عاكسة لها يتجلّى من خلالها؛ بسبب التحامهما ، ونلحظ أنّ فكرة العلاقة المرآتيّة بين الصديق و الذات، تقترب في فحواها من المثل الشعبيّ القائل : ((**قُلْ لي مَن تُعاشر ، أقُل لك مَن أنت**[4])).

ثالثاً:مفهوم الصداقة في النصوص الروائيّة السابقة:

1-الصداقة الترميميّة(رئيف و هزيم) في رواية "هجرة السنونو" لحيدر حيدر:

أرسَى كلٌّ من **هزيم** ،و**رئيف** صداقة يعتمُرها الوفاق والتّناغم،الّتي سنصطلح على تسميتها بالصّداقة التّرميميّة ذات الطّاقة الوجوديّة الرّامية إلى ملء الثّغرات الحياتيّة الاجتماعيّة و الفكريّة، الّتي تُشكّل حياة **هزيم**:((**في مرحلة التّرميم والاكتشاف ...كان رئيف حميمياً وشهماً أخذ بيدي في المسالك الصّعبة كما نوّرني من خلال تجربته خلال السّنوات الخمس بأمور كنت أجهلها** [5])).و لأنّ مدّة السّنوات الخمس الّتي قضاها **هزيم** في بيروت مع **رئيف** بَنت بينهما مجتمعاً مُصغّراً ربطهما سويّة مع المجتمع اللبنانيّ بطقوسه وجوّه السّياسيّ المشحون بالاضطّرابات الّتي قلبت حياتهما رأساً على عقب، لذلك فإنّ **رئيف** سيتمكّن من إعادة قراءة هواجس هزيم وطموحاته الّتي تعدّ في جزء يسيرٍ منها انعكاساً لذاته الفعليّة المُغتربة.

يتشابه كلٌّ منهما من الناحية النفسيّة، بوجع الخذلان الممزوج بمرارة الاغتراب، الّذي أضناهما بعد اختارا الابتعاد عن الوطن والأهل،والتمرّد على الواقع واستبداله بآخر يتلاءم مع طموحاتهما ورغباتهما في تأسيس حياتهما من أجل العيش بمستوىً يضمن مستقبلاً أفضل،بيد أنّ **رئيف** آثر أن يُنصت إلى صوت أناه في اللّجوء إلى بيروت، مُتنازلاً عن العودة إلى وطنه ظنّاً منه أنّ بيروت ستُقدّم له الفرصة الكُبرى في تحقيق مشروعه الثّقافيّ،وعلى شاكلته فإنّ صديقه المُقرّب **هزيم** هَجر الأولاد والزّوجة والأسرة والوطن هارباً بملء إرادته إلى بيروت معتقداً أنّها ستتفتح أبوابها الفكريّة له .أمّا من الناحية الفكريّة ، فتتشابه الشخصّيتان بأنّهما تعيشان أزمة شخصيّة **المثقّف الثوريّ، الذي يعيش في مجتمع بلا قيم ، وكلّ ما فيه ينهار ، ولأنّها ثوريّة لا ترضى عن واقعها، و تتمسّك بنقائها الشخصيّ ، وتسعى إلى صنع قيمٍ**

---

[1]) المرعي، د. فؤاد. *في نظريّة الأدب المقارن*. المرعي، د. فؤاد.مجلّة المعرفة، ع :295ـ دمشق، 1986،ص144.

[2]) التوحيدي، أبو حيّان. *الصداقة والصديق*، د.ط، المطبعة النموذجيّة. القاهرة، 1972،ص 25.

[3]) See: VELTMAN.A .*Aristole and Kant on self disclosure in friend ship*. The Journal of Value Inquiry Netherland-Canada,2004,Vol 38, 225-226.

[4]) الصوص، سمير زهير. *طائفة من الأمثال و الكنايات والعبارات و الألفاظ الشعبيّة الشّائعة في قلقيلية* ، د.ط، د. د، 2015، ص141.

[5]) حيدر، حيدر. رواية *هجرة السّنونو*،ط1،دار ورد للطباعة والنّشر ـ دمشق ـ سورية، 2008،ص12.

جديدة. و لكنّها تخفق، و لا تستطيع مواجهة المجتمع ولا الثورة على قيمه وعاداته [1]؛فيبقى سؤال الانتماء يؤرّق الصّديقين اللّذين كشَفا منذ البدء عن سعيهما نحو فضاء آخر لا يقف مع طرف محدّد،وباتا على المحكّ لا قدرة لهما على التراجع، أو التّقدّم فهما -إنْ جاز التّعبير- في بلدٍ لا يسمح لهما بالحياديّة فمن الضّروري أن يُحدّدا انتماءهما،ولكنّ الشّخصيّتين تبحثان عن الرّابط الوجوديّ الحياديّ الّذي ينأى بهما عن الجوّ المحيط ،فهما لا يريدان أن يُبايعا جهة أو حزباً ،بقدر ما يحتاجان إلى رابط يُقوّي نزعتهما الحياديّة دون أن يُجبرا على تسييس ذواتهما ،والتّلاؤم مع الواقع بطرفيه القامع و المقموع ،ويرتضيان تبعيّة الطّرف الثّاني والاستئناس به، وجعله مداراً لعالمهما؛ على مبدأ تهجين العلاقة مع الأقوى فلا مقاومة ولارفض بل حلٌّ جامعٌ يتوسّطهما، وهو التّكيّف.

ويبدو أنّ **رئيف شاهين** حاول إيصال هذه الرّسالة التّوعويّة إلى صديقه **هزيم** ،فالحياد لا فائدة من ورائه، فهو محض وهم يُشبع المثقّف بشعاراتٍ عاجيّة فضفاضة لا تقدّم إلّا الإحساس الصّوراني(الشكليّ) بالاختلاف عن النّسق العامّ،وتندثر تلقائيّاً مع ارتطامها بالواقع الفوضويّ الّذي يحتّم عليه التبعيّة الخضوع أو الإقصاء. وتوصّل إلى هذه النّتيجة الّتي تعدّ استنتاجاً خلُص إليه **رئيف** الذي ودّ أن يُثبت لصاحبه **هزيم** الّذي ما يزال يظنّ أنّه سيكون المثقّف المبشّر العظيم في هذه الحياة: **((أنت يا صاحبي تحرق أعصابك في بلد عصيّ على التّغيير ...إذا بقي النّاس على الحياد كما هي حالك و المثقّفون الخائبون والأنانيّون يقفون في طابور الفرجة على ما يجري ، كيف يحدث التّغيير**[2]**))**.فلم تكن غايته إقناعه بالتّسليم بإخفاقه على المُستوى الحياتيّ ،بل إيقاظه من حالة التّشبّث الأعمى بأفكار خارجة عن معطيات الواقع المُستَعمَر والمُستَعبَد ، وأفلاطونيّة الأفكار بمثاليّتها الخارقة. فحاول أن يبحث له عن صيغة جديدة تستقيم عليها حياته كي؛ يتحرّر من كونيّة الهجوم المُضادّ من حوله، وعندها يُدرك كيف يحمي نفسه من إحباط نفسه بالدّرجة الأولى، ويفهم أنّه لن يكون مُختلفاً إذا لم يبحث عن هذا الاختلاف في ذاته، و يُسقطه على علاقاته بالواقع و الآخرين. بتعبيرٍ أدقّ إنّ **رئيف** يودّ أن ينظر **هزيم** إلى الحياة من خلال تجربته ، وتجربة الآخرين من حوله،ويكفّ عن انكفائه على ذاته المُتشظيّة بين طموحه المنهار في زمن الحرب،وأطفاله الّذين هجرهم،والوهم والفراغ المُستشريان في حياته باستفحال لانهاية له،بينما لا يزال مُتشائماً ثابتاً في مكانه يتلقى الصّدمات بلا حراك أو تغيّر.**((رئيف شاهين...كان يودّ لو أنّ هذا الهزيم، اللّا مبالي والفوضويّ كما يُسميّه، يطرد من غابات رأسه وأشجارها هذه الغربان السّود الّتي تعكّر فضاء الغابة بأصواتها النّاعقة** [3]**))**وفي هذا الصّدد لابدّ أن نُشير إلى نظرة الفيلسوف والنّاقد الفرنسيّ **بول ريكور** ،عن أزمة الذّات الّتي تخلّت عن حقيقتها المُطلقة بين التّعظيم والانسحاق، لتقبَل بتواضعِ**((حقيقتها الذّاتيّة الّتي مرّت من خلال معموديّة الغير**[4]**))**.ومنه فإنّ التّشابه بين الشّخصيتين لم يُكن مُطلقاً، بل حرّض **رئيف** بيقظته أن يثبت **لهزيم** أنّ انسجامهما الظّاهريّ النّابع من تماثل سيرتهما الذّاتيّة الانهزاميّة بحاجّة ماسّة إلى النّسف البنّاء بإعادة تأمّل **هزيم لرئيف**، و اتّخاذ عالمه منظوراً يُفتّت التّشابه الذّاتيّ ويقوّضه من أجل حصر الخلل المتوافر في **هزيم** بضوابط تجعله يفكّر جيّداً في النّقلة النّوعيّة المُفاجئة بتكيّف وانسجام **رئيف** الملحوظ مع الحياة بعد أن تأكّد له أنّ الثّقافة أمرٌ والحياة أمرٌ آخر ؛أي بين الطّموح والواقع خيطٌ رفيع من تمكّن فَهمه استطاع أن يلج الحياة

---

[1] **يُنظر : الرّاهب، هاني. *شرخٌ في تاريخ طويل*،ط1، دار أبجد . بيروت، ص208.**

[2] **حيدر. حيدر. *هجرة السنونو*،ص192.**

[3] **حيدر. حيدر. *هجرة السنونو*،ص193.**

[4] **ريكو ر، بول. *الذّات عينها كآخر* ،تر: د. جورج زيناتي،ط 1،مركز دراسات الوحدة العربيّة، المنظمة العربيّة للترجمة. بيروت،2005،ص67.**

بإقبالٍ، و تخلّص من التّخبّط العشوائيّ الذّي تثيره الحياة الُمعاصرة المُستعمَرة سياسيّاً من الخارج والمُستعبدة اجتماعيّاً من الدّاخل.

كان قراره المُفاجئ بالزّواج صدمة ألهبت وعي **هزيم** الغافل الّذي كان يظنّ أنّ صديقه المقرّب **رئيف** ما يزال على رأيه بمؤسسة الزّواج الفاشلة،ويُفسَّر هذا القرار على أهميّته وانحرافه عن مفهوم **رئيف** عن الزّواج مسارَ تساؤلٍ بالنّسبة إليه **((بعد أسبوعين سيفاجئني رئيف بخبر غريب مُباغت سأتزوّج وأنا في حالة من البلبلة سألته كيف حدث ذلك؟.[1]))**إنّ عُنصر المفاجأة جعل **هزيم** يلتمس خيبته من جديد، ولكن على نحوٍ يصوّر إحساسه بالعجز والوحدة،استهجاناً لذاته الّتي تأبى التّغير ظنّاً أنّ الحريّة الفكريّة تستوجب تحرّراً من إسار الارتباط الأُسريّ الّذي زجره ،وعندما يُجيبه عن سؤاله قائلاً: **((أَلَم تقل أنّ لقطار الزّمن ثلاث محطّات أساسيّة: الولادة، الزّواج، الموت. أنا قرّرت ركوب عربة القطار نحو المحطّة الثّانية قبل الموت؟! [2]))**، رمى **رئيف** إلى الإفصاح عن عقلانيّة فكر **هزيم** الميّت في ضبابيّة الأفكار الخاصّة بالقضايا الوجوديّة في الحياة، إذ يسترجع مقولته الحياتيّة في الولادة الّتي تعني الحياة،والزّواج الّذي يعني الولادة والنّسل، والموت الّذي يعني الغياب من أجل الانبعاث من جديد والخلود بالذِّكر؛ أي إنّ **رئيف**، بوصفه الصديق اللصيق **بهزيم** ، يحاول أن يُحاور الآخر القابع في الطرف الآخر من ذاته الاجتماعيّة التي تدّعي الانفتاح الفكريّ ،الذي يُشَرعن الأمور الحياتيّة على نحوٍ بعيدٍ عن سريرته الداخليّة، التي تُضمر الحنين إلى الوجه الحقيقيّ لها ، المتمثّل بالصديق **رئيف** الذي عرف جيّداً كيف يقهر اغترابه بالاندماج في الحياة ، والسعي إلى إيجاد رابطٍ حقيقيّ يجمعه مع الواقع . هذا ما أثار **هزيم** إلى اتّخاذ فكر صديقه المُضادّ لما كان يظنّه ، استراتيجيّة إعادة صوغ ونظمٍ لموقع الذّات من خلال عين فكر الآخر ؛أي حاول إعادة فهم ذاته الاجتماعيّة ، بوصفه أباً و زوجاً هارباً من المسؤوليّة في مكانٍ ليس بوطنه ، محاولاً تحقيق طموحه الثقافيّ في ظلّ حربٍ مستعرة. **((خلال لحظة أحسست كأنّني بعيد عن سرّه المكنون.كانت مسافة بيننا مسافة خفيّة خاصّة احتفظ بها لنفسه رغم حميميّة الصّداقة [3]))**؛ إذ تعني هذه المسافة الّتي تَركها **رئيف** بينهما، أنّه لن يُنقذ ذات **هزيم** ممّا هي عليه إلّا العودة إلى أسرته وزوجته؛ لأنّ الزّواج استقرار، و الاستقرار وطن، والوطن طموح، والطّموح بلا الوطن ، بوصفه **مطلباً ضروريّاً للأمن و استقرار الذات[4]**، لا جدوى منه في ظلّ غياب المقوّمات الوجوديّة، التي يُعنى، بها الاستمتاع بحقّ الذّات في ممارسة دورها الاجتماعيّ الفاعل، من دون هويّة اجتماعيّة توصّف **هزيم** الإنسان الزوج والأب، قبل أن يكون المثقّف الطموح.

2ـ مفهوم الصداقة الكونيّة(جيم و هَك) في "مغامرات هكلبيري فن" لمارك توين:

إنّ صداقة **جيم و هك** صداقةٌ كونيّة؛ تصلح أن تكون أنموذجاً يُحتذى في العالم كلّه ؛لما تتمتّع به من إنسانيّة مفرطة تُصلحها لكلّ زمانٍ ومكان.وبعيداً عن التّوصيفات التّي تسمو بالعلاقة بينهما ، فإنّ الفتى **هك** لم يكُن ذاته لولا **جيم**،وفي هذا الصّدد كتبت الرّوائيّة الأميركيّة من أصولٍ أفريقيّة **توني موريسون TONIMORRISON((لا مفرّ من**

---

[1] ***المصدر السابق***، ص298.

[2] ***المصدر السابق***،ص298.299.

[3] حيدر، حيدر: ***هجرة السنونو***،ص298.

[4] يُنظر: بحراوي، حسن ***بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصيّة)*** ،ط1،المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء ـ المغرب ،1990،ص29.

القول إنّ هك لم يَنضَج بوصفه كائناً بشريّاً لولا جيم [1]))؛إذ أدّى **جيم** دوراً بارزاً في حياة **هَك**، فكان الموجّه الفكريّ والأخلاقيّ في تسريع عمليّة نضوجه، وتغيّره المُستمرَّين منذ بداية لقائهما حتّى لحظة تحرره من الرقّ والعبوديّة،ويتجلّى ذلك من خلال الأمور الآتية :

أ)- **ضبط المنظومة الأخلاقيّة** :لاشكّ في أنّ التّربية الأخلاقيّة عنصرٌ مهمٌّ في تكوين شخصيّة **هك** الفتى الصّغير الهارب من كنف التّمدّن الزّائف الّذي لم يتلاءم معه.وقد وَجَد في **جيم** . عبد السّيدتين اللّتين تكفّلتا بتربيته المُعلّم الّذي ثقّفه وعلّمه ما الحياة ، وكيف يجب أن تُعاش، وهو ما يزال طفلاً صغيراً، قليل الخبرة والتّجربة في طور النّموّ الجسديّ والذّهنيّ؛أي في مرحلة تشكيل هويته الاجتماعيّة الّتي ستكوّن شخصيّته في أُثناء تعامله مع المجتمع.

إنّ **جيم** عبدٌ أميّ، و على الرغم من أنّه لم يكن على قدرٍ كافٍ من الذّكاء و الفطنة، فقد تمتّع بنصيبٍ وافٍ من السّمات الأخلاقيّة المتمثّلة في أسلوب تعامله مع **هَك** معاملة المربّي الخلوق لتلميذٍ مُشاغب عابث،همّه أن يعيش حياته بعيداً عن مُحدّدات المدنيّة الّتي يراها قيوداً مفروضة تقيّد حريّته. وأوّل الدّروس الّتي تلقّاها **هَك**:ضرورة احترام الإنسان لإنسانيّة أفعاله ، لا بالنّظر إلى لونه وعرقه وانتمائه الاجتماعيّ، **فهك** تَعامل مع **جيم** من منظور إيديولوجيّ، لم يفهمه، بل تلقّاه من خبرته في مجتمعه المتمدّن .وفي الموقف الّذي يفترق فيه **جيم** عن **هك** في الضّباب، نَلحظ أنّ **هَك** يُقابل لهفته عليه من منظور أسلوبه اللّاهي عن جديّة خوف زنجيٍّ لا يمتّ إليه بصلة قائلاً :((**إنّ كلّ ما جرى ليلة الضّباب مجرّد منام.أتعلم أنّ كلّ ما تقوله هُراء** [2]))، إذ تبيّن له أنّ المجتمع الفاسد الّذي تربّى فيه و كرهه في آنٍ معاً،لم يُورثه إلّا الضّغينة والأوهام الّتي أخافته مليّاً.وما يلفت **هك** في مقابلة **جيم** لفعله الدّنيء هو احترامه لذاته، وعدم استهتاره بقدرته، فلم يَظهر أمامه بالصّورة الّتي رسمها في مخيّلته عن زنجيّ خائفٍ، عليه أن يُقدّم للأبيض فروض الطّاعة والاحترام،بل استطاع بحنكته الاجتماعيّة أن يُقنعه أنّ تفسيره الكاذب لِما حصل يُقلّل من شأنه ولا يليق به ((**ماذا كنت تعتقد يا عزيزي ؟ كيف بإمكانك خداع رجلٍ مسنّ بمثل عمري، وتجعله يبدو غبيّاً؟!...إنّ الصّداقة لا جدوى منها إذا قام الصّديق بخداع صديقه مثلما فعلت** [3])).فالإحراج الّذي سبّبه له قوّض من نزعته اللّاهية في ميلها المُفرط إلى إرضاء حاجته إلى التّسلية ،وأوجب عليه التّفكير مليّاً بأيّ أمرٍ قبل القيام به مهما قلّ شأنه،إذ إنّ **جيم** بمنطقه السّليم كان بمنزلة المدرسة الّتي أُجبر **هك** في الماضي على ارتيادها،ولم يطُقْ تعلّم موادّها المدرسيّة ؛إذ إنّ **جيم** أثّر فيه، وحفّزه أن **يُقبل على تعلّم مادّة الحياة ، حتّى إنّ أحد النّقاد شبّهه بربّان السّفينة،الّذي وجّه دفّة هَك إلى الوجهة الصّحيحة**[4].وكانت العِبرة من أوّل درسٍ تلقّاه هي: التّخلّص من مفرزات النّزعة العنصريّة الّتي تجرّعها،وتبيّن له أنّها نزعة تضليليّة لا طائل من التّمسّك بها أمام أمانة إنسانٍ مثل **جيم** واستقامته((**إنّ ما قاله جيم كان كافياً ليُشعرني بالخزي والعار،وودت لو أقبّل قدميه و أستسمحه عُذرا**[5])).

***ملحوظة:نعتقد أنّ الكاتب قدّم كلّاً من:(هك وجيم)أنموذجاً للصّداقة بين الأبيض والأسود في القرن التّاسع عشر من أميركا ببحثهما عن الحريّة الرّامية إلى التّخلص من قيود المجتمع وأعرافه، مع أنّ هذ ا الأمر كان شبه مستحيل .فللسّود مهما حاولوا التحرّر ، لم يتمكّنوا من الإفلات من قبضة البيض العُنصريين،وسينتهي الأمر بهم إلى العبوديّة على أقلّ تقدير.**

[1])MORISON.T. ***Re -making Twain ,adventures of Huckleberry Finn,*** **complete text .Introduction and critical essay, Boston,1988 ,56.**

[2]) TWAIN .M .*Tom sawyer and Huckleberry Finn.* Berwick street, London ,1991.

[3]) *Ibid*. 316.

[4]) SANG, Y. *An analysis of the factors affecting growth*.Journal of Language Teaching and Research Filand, Vol.5,NO.7, September,2010, 633.

[5])TWAIN. M: *Tom Sawyer and Huckleberry* Finn. 317.

ب) ــالتّعويض العاطفيّ:

قُلنا سابقاً إنّ **هك** لم يمتلك أُسرة ترعاه فأمّه لم تُذكر نهائيّاً، و لم يجد البديل عنها في أحد،وأيضاً هَرب من والده السّكّير الّذي أساء معاملته بعد أن حبَسه وحاول قتله لذلك فإنّه لم يشعر بالرّاحة مُطلقاً في حياته ولم يُدرك يوماً معنى الحنان والأمان والطّمأنينة إلّا في صُحبته ل **جيم**.كان **جيم** أكثر من صديق افتقده في حياته،وبمنزلة أبٍ كان قد عرفه بالاسم لا الفعل والمعاملة،وأقرب من أخٍ لم يَره،وبحنان أمٍّ كان بأمسّ الحاجة إليها،وبالمختصر كان **جيم** مجموعة إنسان في شخص رجل عبْدٍ واحد.

وحقيقة الأمر يشعر القارئ أنّ علاقة الصّداقة الجامعة للطّرفين أنسَت **هك** الفروق العُمريّة والعرقيّة لدرجة شعورنا أنّ في قلب **جيم** يقع **هك**،و أنّ **هك** هو **جيم** الأسود، ونسوّغ ذلك بشدة التّواؤم التّعويضيّ الّذي شيّد الصّداقة كبناء متين من الصّعب اختراقه؛لأنّ أساسه المحبّة العميقة الّتي لم تنشأ بين ليلة وضُحاها بل أثْرتها وحدة الظّروف و الغايات. و نستدلّ على المشاعر الأبويّة النّبيلة في حرص **جيم** على عدم رؤية **هك** لجثّة والده عند دخولهما سويّة إلى الكوخ المهجور في إحدى مغامراتهما قائلاً له بحنوّ: **((لا تنظر إلى وجهه يا هك، إنّه يُثير الذّعر [1]))**؛معلّلا ذلك بأنّ مشاهدتها تجلب له الحظّ السّيء. وفي الواقع إنّ ادّعاء **جيم** مثل هذه الكذبة البيضاء مردّه إلى حرصه على معنويّات الطّفل ومشاعره من الأذى خشية جرحه وإيلامه،و لا سيّما أنّه يدري أنّه السّبب الأساسي فيما آل إليه، لذلك فقد أظهر له الحرص والاحترام بأسلوبه اللّبق الّذي لم يرتقِ إليه المجتمع المتمدّن الّذي عنّف **جيم** ؛ بسبب العنصريّة العرقيّة في التعامل معه ، بوصفه عبداً ليس له أدنى حقّ في العيش الآمن ، فضلاً على أنّ المجتمع غرّب **هَك** نفسيّاً؛ بحرمانه الاستقرار العائليّ .

إنّ ما علّق **هك بجيم** حبّه لعائلته، التي أُجبر على الابتعاد عنها، و هرب ساعياً إلى استعادتها بتأمين المال اللّازم من أجل شراء زوجته ، و أولاده الّذين اشتاق إليهم.و غير خافٍ أنّ **هك** قد انجذب إلى **جيم** الأب– الإنسان الّذي لم يختبره يوماً، و ما أثاره فيه هو روح التّمرّد الّتي تسكنه بوصفه إنساناً له كامل الحقّ في أن يعيش مع أولاده فلذّات أكباده،هذا ما أيقظ فيه الإحساس بحقّه الطبيعيّ في أن يحيا معهم و لأجلهم، بعد أن تحقّق من خيبة النّظرة السّائدة المُشوّهة ،الّتي تعدّ الإنسان الأسود غير جدير في أن يمتلك أسرة و يُمارس الأبوّة.بتعبيرٍ آخر، رأى في نضال **جيم** من أجلهم صورةً عن الحياة الّتي يحلم بها ، مع أنّها لن تتحقّق إلّا أنّ شعوره بالأمان أعاد إليه ألقَ الثّقة والأمل بأنّ في الحياة ما يَستحقّ العيش والتّضحية، وأنّ لهفته عليهم وسعيَه الجادّ لتحرير نفسه من إسار العبوديّة جعل **هك** يُدرك أنّ النّاس السّود هم بشرٌ أيضاً،يَتساوون مع البيض في المشاعر والأحاسيس،ويتفوّقون عليهم، و كيفَ لا وهو ابن العرق الأبيض؟ و مع ذلك منبوذٌ بلا أسرة أو سند، فتبيّن له ، أنّ الإنسان بتركيبه الفطريّ واحدٌ، لا فرقَ بين الأسود والأبيض في المشاعر.**((إنّني أودّ من كلّ قلبي مساعدة جيم لإحراز حريّته.. يا إلهي كم كنت محزوناً وسعيداً في اللّحظة ذاتها و هو يتحدّث عن عزمه على سرقته أطفاله،أطفال رجل لم أرَ له مثيلاً[2]))**.

تنحو عاطفة الحبّ الّتي أشعرته بالأمان والاستقرار غير المسبوق منحىً آخر ، يَقيس مدى استحقاقه الكمّ الدّافق من محبّة العبد **جيم** واهتمامه، فوقع في اختبار ذاتيّ ، يقوم على صراع العقل المُشوَّه المُتشرِّب لعادات المجتمع الأميركيّ السّيئة، ونداء القلب والعاطفة الطّافح بالتّسامح والعطاء اللّا محدود،والنّتيجة كانت خيبة العقل،وانتصار غريزة العاطفة بحدسِها الصّادق .و يعبّر عن ذلك المشهد الّذي يكتب فيه الرّسالة إلى السّيدة واتسون

---

[1] ***Ibid. 294.***

[2] **) TWAIN. M:** ***Tom Sawyer and Huckleberry*** **Finn.334.**

Miss Watson كي يُخبرها بمكان **جيم** خوفاً من أنْ يَكشف أمرَه أصحاب المزرعة الذين اشتروه من **الدّوق**. فكان **هك** أمام أمرين إمّا أن يؤيّد، وإمّا يرفض عبوديّة **جيم**؛أي يُثبّط الأفكار الّتي تربّى عليها ،وهي لسان حال مجتمعه،ولكنّه اختار أن يَتبَعَ صوت قلبه ويحرّره ((**وفي النّهاية أعتقد أنّني سأذهب إلى جهنّم** [1]))،عندها مزّق الرّسالة،وبتمزيقها يكون قد ضحّى من أجل حريّة منْ حرّره من أوهام وأمراض مجتمعيّة كانت كفيلة باستجراره إلى التّشرّد والضّياع،وقد أثبت أنّه جديرٌ بأن يُقدَّر ويردّ له عرفان أفعاله في احتضانه أوقات الشدّة، وبذلك فقد أعلن **هَك** عن صداقته لـ**جيم** أمام المجتمع المُتطرّف، مُحطّماً سطوته مُصغياً إلى قلبه الّذي هَتف بالحياة العادلة المُتوازنة المستقرّة،كاشفاً عن رجولةٍ أنضجت الفتى المُشرّد.

3ـ مفهوم الصداقة الوجوديّة(بافل يستنبط وجوديّة بيلاجي) في رواية "الأمّ" لمكسيم غوركي:

تتّسم صداقة **بيلاجي** بولدها **بافل** بطابعها الوجوديّ الذي ((**يُعلي من قيمة الإنسان إلى مكانة تناسبه ، وتؤكّد تفرّده ، وأنّه صاحب تفكير و حريّة، و إرادة، و اختيار** [2]))،إذ تتجاوز عاطفة الحبّ العارم الّتي تكنّها أمٌّ لابنها،وتعلو أيضاً على فخر المناضلة بالبطل الثّوريّ الّذي سيُغيّر الخارطة الاجتماعيّة والسّياسيّة بنصرته قضيّة العمّال في روسيا القيصريّة ، و ترتقي إلى درجة عالية من الانصهار الكُلّي الّذي يُعيد ولادتها من جديد ليس على مستوى حياتها الشّخصيّة وحسب ، بل يُخلّدها رمزاً على المستوى العالميّ.وفي سوقنا لطبيعة العلاقة الوجوديّة،الّتي أسهبت بدورها في استنباط الشّخصيّة الإنسانيّة الحرّة الكامنة في المرأة المسحوقة العاملة، سننطلق باستنتاجها من منظور ما يمثّله **بافل** بعالمه الثّوريّ الفكريّ الحافل بالمقاومة والتّحدي والنّضال الاشتراكيّ المُناهض للواقع البائس الّذي يحيق بالعمّال بوصفها واحدةً منهم.

تُبنى الصداقة على التّفكير الفلسفيّ الوجوديّ القائل: ((**إنّ معنى أن تُوجَد هو أنت كون بالفعل في عالم**[3])).فالوجود البشريّ **في الحقيقة وجودٌ في العالم،لكنّ البيئة البشريّة ليست مجرّد العالم أي النّاس من حولنا كما يتبادر إلى أذهاننا، فهناك البيئة الشّخصيّة أيضاً؛لأنّ الموجود البشريّ اجتماعيٌّ بطبعه يتفاعل باستمرار مع الآخرين،ومنه يُشير مفهوم الانشغال بالآخرsolicitude إلى علاقة الذّات البشريّة بالّذوات الأخرى.**[4]

تكمن الأبعاد الوجوديّة في شخصيّة الأمّ ببدء انشغالها بولدها الّذي يُمثّل عالمها،فهو آخر ما تبقّى لها من حياة، لم تُنصفها ، ولم تتكيّف معها؛ إذ لزمت فيها السّكوت والانقياد.لذلك فقد أثارها التّغيّر الملحوظ في أحاديث ولدها عن العمّال ومُعاناتهم ماسّاً الوجع الّذي أضناها، فحياتها السّابقة مع والده العامل الكادح الّذي مات قهراً من ضنك العيش والإجحاف بحقوقه.و إنّ ما أراحها من عناء أن تعود حياتها القهقرى أنّ **بافل** لم يُشبه والده البائس،إذ لمَست فيه العقلانيّة الّتي افتقدتها بزوجها العامل السّكير الخائب، و آنستها ضراعته فهو يُشبهها في الطّباع الحسنة لكنّ هدوءه المتأمّل يختلف عن صمتها القاتل لسنينٍ طوال من القهر والذلّ و العدميّة.والواضح أنّ انشغال الأمّ بتوجّه **بافل** إلى النّشاط الثّوريّ الّذي زاد من عاطفته حيالها،حرّرها من الثّقل النّفسيّ للأيّام الّتي لم تفكّر فيها إلّا بفردانيّة امرأة وحيدة مكسورة مهمّشة مُعنّفة مُستعبدَة نفسيّاً من زوج هو بدوره كان ضحيّة نظام حياتيّ معيشيّ جائر.وفي المقطع الآتي تُنصِت إلى حديثه بشغف أمّ ترى أنّ ولدها يشعر بها ويمدّ يده إلى إنقاذها فيملأ قلبها بالطمأنينة بأنّ المستقبل سيكون

---

[1]) ***Ibid*. 533.**

[2]) **حسيبة، د. مصطفى. *المعجم الفلسفي*، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمّان، 2009، ص680.**

[3]) **ماركوني، جون.*الوجوديّة*، تر: د.إمام عبد الفتّاح إمام، مر: د. فؤاد زكريّا،د. ط، د.د ـ الكويت،1982،ص90.**

[4]) **يُنظر: *المرجع السابق*،ص115. 122.**

أفضل من الماضي ((**ما هي الأفراح الّتي عرفتيها؟! وماذا خلّف لك الماضي من ذكريات؟..كانت هي المرّة الأولى الّتي تسمع فيها إنساناً يتحدّث عنها وعن حياتها.فيمتلئ القلب فخراً بهذا الابن الّذي يفهم جيّداً حياة أمّه، ويتحدّث إليها عن آلامها ويعطف عليها**[1])).

وتتكشف شخصيّة المرأة الجريئة المُنبعثة من ذاتها المنصهرة في ولدها،إذ تتصالح مع طبيعة انتمائه وشرف فكره النّيّر المُحرّض لها على التّغيّر الخفيّ الّذي يقتضيه ارتفاع شأنه الملحوظ بعد اعتناقه قضيّة العُمّال،فتنطلق في فضاء المجتمع،مُستلهمةً هالته الرّوحيّة والفكريّة عَتاداً يتضافر بقوّته مع رابط الأمومة وشغف إظهار الحقيقة. إذ أكسبها عالم الثّورة بتفاصيله الدّقيقة وتعاملها مع أناسٍ كُثر،واستماعها إلى أحاديث لم تفهم ألفاظها وفحواها،مِراناً في فهم طبائع البشر من حولها، و التّمييز بينهم هذا ما صقل خبرتها الحياتيّة، فلم تَعد تلك المرأة الهشّة سهلة العطب مثلما كانت عليه، أصبحت تفكّر في المستقبل، و شعرت أنّها تطمح إلى حياة أفضل حياة ينتصر فيها ولدها على قوى الشّرّ المتربّصة به من كلّ صوب.إنّ جلّ ما أثرى طموحها حالة الفيض العاطفيّ الأموميّ الكونيّ لكلّ رفاقه إذ تراه فيهم، و تنفتح ذاتها المنغلقة على همّ الخلاص من القمع الفكريّ ، الذي عاشته في كنف زوجها العامل ، متحرّرة من أحاديّة موقفها من الحياة، موقف الإنسان المتشائم من واقع معيشّي مزري على الصعيدين الاجتماعيّ والشخصيّ . كما و تنتمي ذاتها إلى ما يوحّد بين الإنسان الأمّ ، والمناضلة الفذّة، والقضيّة العمّاليّة الكُبرى ، فبات ما يربطها بولدها أسمى من الغريزة والتّضحية،وأقرب إلى الانبعاث الّذي يسلخها عن ألم ماضيها، ويشيّد لها أساساً لبناء شخصيّتها الجّديدة المُشبعة بالأمل والعطاء ((**واستطاعت أن تُدرك كيف يمكن للمرء أن يحبّ مثل هذه الحياة على الرغم من أخطارها،فراحت تحدّ بصرها متنهّدة إلى شريط ماضيها الأسود الضّيّق،فينمو فيها شيئاً فشيئاً إدراك هادئ لأهميّتها هي أيضاً في هذه الحياة الجّديدة،فيما مَضى لم تحسّ أبداً أنّ ثمّة إنساناً يحتاج إليها،أمّا الآن فهي ترى بوضوح أنّ الكثيرين في أشدّ الحاجة إليها،وكان هذا شيئاً جديداً مُفرحاً جعلها ترفع رأسها فخراً** [2])).يَشي حديثها ببزوغ ثنائيّة **الأنا/ الهو بوصف الأولى:الذّات المفكّرة،والثّانية:ما يقابل الأنا ويُطلق غيره** .[3]بات تفكير الأمّ الطموح إلى إحياء فكر ولدها النّضاليّ المُناهض للأعداء،محور استقطاب الآخرين المتبنّين لفكره الدّافق بالحريّة ،الّتي ينشدها العمّال في العالم ،وعتبةً أعادت فيها تموضعها في داخل العالم الخارجيّ والشّخصيّ ـ إن صحّ التّعبير ـ فتباركَ وجودها بينهم إثر انشغالها بممارسة نشاطاتهم من توزيع المنشورات و الاستماع إلى اللّقاءات الفكريّة بين صفوف المسحوقين في المجتمع، وكانت حريصة في رحلاتها على بثّ التّآخي بين النّاس،ودعوتهم إلى رصّ الصّفوف والتّوحّد من أجل حياة أفضل تليق بكرامة العامل في أرجاء المعمورة.بيدَ أنّ انشغالها بالعالم كان على وتيرة الانخراط المُستمّر، والتّفاعل مع المستجدّات الحاصلة من حولها من تغيّرات في تلقّي الأفكار الثّوريّة الّتي لم تكن تفهمها بصيغها الحرفيّة والنصيّة بقدر ما تمسّ أُمّاً عاملة مُهملة أُعيدت إلى الحياة على يديّ ولدها الصّغير.هذا ما حَدا بالعلاقة الوجوديّة أن تزدهر متحوّلة من كونها عُلاقة اكتشاف لذات تتجاوب مع مُعطيات يقدّمها العالم وترفض غيرها أي؛ تنتقل من الأنا/ الهُو إلى الأنا/ الأنتَ،علاقة التآلف والاتّحاد الرّوحيّ بين مناضلة ومناضل، يسخّرها فاعلة في العمل الثّوريّ تفعل ما يأمرها به الرّفاق، فوجَدت فيه انتقاما لأناها القديمة بحلّة إنسانة مُفكّرة، ترفض الذّلّ و الموت البطيء. و بعد أن تحمل الرّاية الحمراء في عيد العمّال ليلة الأوّل من أيّار، ويُعتقل ابنها تصرّ على تَحصين نفسها كي؛ تكون الأمّ الجديرة بولدٍ عظيم مثل

---

[1]) **غوركي، مكسيم. *رواية الأمّ*. تر: فؤاد أيّوب والمحامي سهيل أيّوب، دار رادوغا، د.ط ـموسكو،1983،ص22.**

[2]) **غوركي، مكسيم.*رواية الأمّ*.ص189.**

[3]) **يُنظر: صليبا، جميل.*المعجم الفلسفيّ*.ص131.،ويُنظر أيضاً: *المعجم الفلسفيّ*.مجمع اللّغة العربيّة،ص207.**

بافل،فلم يَعُد للخوف مكان في حياتها لقد استبدلته بالمقاومة والسّعي الحثيث لبناء ذاتها من جديد كأنّها في طور النّشوء،وولدها هو مَن تكفّل بتربيتها فكريّاً،إنّه معلّمها وقائدها الرّوحيّ **((كانت صورة بافل تنمو أمام عينيها حتّى تضمّ سائر أولئك الّذين يُقاسمونه مصيره، وتثير فيها حالة من التّأمّل تمتّعها[1]))**.

يؤكّد **علماء الفلسفة الوجوديّون أنّ الانشغال بالآخر يأخذ منحىً إيجابيّاً بَنّاءً، يقفزُ فيه فكر المرء قفزةً إلى الأمام؛ أي أمام الآخر كي لا يسلُبه العناية الخاصّة به ،بل ليُعيدها إليه بطريقة أصيلة و يُعينه بها،ويفتح أمامه إمكانيّات وجوده[2]**.وبناءً عليه فإنّ الأمّ صانت رسالة ولدها بعد اعتقاله منغمسةً بالجوّ الثّوريّ ، الّذي تحوّل إلى نَفَسِها إذ تقتات عليه.وكانت في كلّ مرّة توزّع المنشورات في صفوف العمّال و الفلّاحين تُبرهن على جدارتها في أن تحمل الرّسالة مبشّرة بفكر ولدها الخلّاق.ويبدو أنّ صلابتها في تحمّل المتغيّرات السّياسيّة والاجتماعيّة كانت نتيجة إيمانها المُطلق بأنّ العدل والحقّ سينتصران لا محالة،وأنّها مهما فعلت لن تفي **بافل** حقّه،فهو مَنْ خلَق الأمّ فيها. و يعدّ المشهد الأخير عندما يُطاردها أحد الوشاة، و هي في طريقها إلى موسكو، قاصدةً توزيع خطابه بعد المحكمة مشهداً زاخراً باليقظة الروحيّة، الّتي وفّرها حدسها الأموميّ الوجوديّ الأصيل في حرصة الدّائم على صَون عهدها على نفسها بأن تُخلص إلى ولدها حتّى آخر رمق من حياتها.

و بعد أن حُكم عليه بالنّفي الذي كانت تتوقّعه، بَادرت إلى تحويله من نفيٍ مكانيّ لا قيمة له إلى انبعاثٍ أبديّ يُصيّر خطابه نصّاً مُضادّاً يُحي الملايين، بعد أن منحها شرَف مواجهة أعدائه الّذين هم أعداؤها، لقد واجهتهم لأولّ مرّة في حياتها إذ منحها ولدها فرصة أن تكون بَطلة أمام الشّعب الّذي شعر بها أمّاً لروسيا، تهتف بصرخة مدويّة مصيريّة لطالما انتظرتها كي تقول كلمتها الأخيرة وتُقدّم نفسها قُرباناً على مذبح الحريّة والعدالة مُعلنة فناءها على حساب خلود نضال ولدها **((لقد جرَت البارحة محاكمة بعض المتّهمين وكان من بينهم ابني فلاسوف، ولقد ألقى في المحكمة خطاباً،إنّي أحمله إلى الشّعب حتّى يقرأه و يفكّر في الحقيقة. إنّ كلمات ابني هي كلمات شريفة لعامل لم يَبع نفسه ولسوف تعرفونها من أجل جرأتها..لا تَدَعوا شيئاً يُخيفكم فليس من شيء يمكن أن يكون أكثر مرارة من الحياة الّتي تعيشون.. فإنّكم لن تستطيعوا قتل الرّوح المُنبعثة للحياة[3]))**.

رابعاً:أوجه التّشابه والاختلاف:

1ـ طبيعة الظروف الاجتماعيّة الخاصّة بأطراف علاقة الصداقة :

جاءت الصداقة مَطلباً ضروريّاً قادته وحدة الظروف الاجتماعيّة التي عاشتها الشخصيّات الرئيسة في الروايات، و هي: **هزيم إسماعيل و رئيف شاهين** في رواية "**هجرة السنونو**". **هَك و جيم** في "**مغامرات هكلبيري فن**". **بيلاجي نيلوفا و بافل فلاسوف** في رواية "**الأمّ**". إنّ كُلّاً من **رئيف و هزيم** هَربا من وطنهما تحت وطأة الظُروف السياسيّة القلقة التي تُؤذن بحرب شعواء هذا ما قادهما إلى اللجوء إلى مكانٍ آخر أملاً في تحسين واقع حياتهما،وتحقيق طموحاتهما على الصعيدين العاطفيّ والاجتماعيّ.ومن جهة ثانية هَرب **هَك و جيم** من **سطوة المجتمع الأميركيّ بصيحاته التحرريّة والفكريّة الواهية وقيمه المُشوّهة [4]**؛ رغبةً في حصول **هك** على حريّته الاجتماعيّة بعيداً عن قواعد التمدّن ،التي رأى فيها ضرباً من النّفاق والتصنّع،و سعى العبد **جيم** إلى التحرّر من العبوديّة وعتق نفسه من

---

[1]) **غوركي، مكسيم.*رواية الأمّ*،ص363.**

[2]) **يُنظر :ماركوني،جون.*الوجوديّة*،ص125.**

[3]) **غوركي، مكسيم.*رواية الأمّ*،ص606.604.**

[4])**See: Farb .S .*The escape motif in the American novel, Mark Twain to Richard Wright*. Ohio State Press,1972,13.**

إسارها،والعودة إلى حياته مع أسرته التي افترق عنها قَسراً. بينما يتّخذ الهروب مساراً مُغايرا بالنّسبة إلى **بافل،** الذي اعتنق الاشتراكيّة ؛ سبيلاً إلى الهروب من واقعٍ معيشيّ بائس غارق في الجهل والانسحاق و الاستغلال الذي عاشته أمّه **بيلاجي،** التي سَعت من خلال اعتناقها لفكر ولدها المُضادّ للحكومة الروسيّة القيصريّة في تلك الفترة الزمنّية التي امتدّت فيها ثورة العمّال إلى الهروب من مأساة سكوتها عن حقوقها الاجتماعيّة والنفسيّة التي أجهضتها الأوضاع السياسيّة.

2ـ علاقة الصداقة ، بوصفها طقساً تفكيكيّاً بنّاءً يُفصح عن الذّات :

لقد انتظمت علاقة الصداقة بين كلّ ثنائيّة على وفق أنماط وجوديّة، تحت عنوان عريض **(الصديق يستنبط الذات)**،إذ تمكّن الصديق في كلٍّ منها من الإفصاح عن نواحٍ نفسيّة اجتماعيّة تتضافر بدورها لتُثريَ من دِلالة الكشف إلى **مُلامسة نقاطٍ عصيّة على الشخصيّة نفسها أن تعرفها،وهذا ما يُعرف في الفلسفة بالذّات الحقيقيّة أو المثاليّة التي من الصّعب القبض عليها أو حتّى الوصول إليها** [1].هذا ما يسببّ عُنصر الدّهشة في العلاقات الثرّة الجامعة بين الطرفين،ولاسيّما بالنّسبة إلى الشخصيّات الأقلّ قوّة عقلانيّة في مجتمع الروايات ، و نقصد بها شخصيّة كلّ من:(**هزيم إسماعيل، هك، بيلاجي)**.وبناءً على ذلك،تُميط آليّة الإفصاح عن الذات اللّثام عن تلك الجوانب ،من خلال نقاطٍ تُقارب العلاقة بين الأطراف جميعها:

أ)ـ التّعبير والإفصاح: عن كوامن النّفس ، و التّنفيس عن كلّ ما يدور فيها من أفكار و هواجس؛ لأنّ القُرب والانسجام بين الطرفين يُطلق العنان للأفكار بينهما؛نتيجة الرّاحة التي يشعر بها الطّرف الآخر- المُشارك - حِيال صديقه، إذ تكشف الصداقة في الروايات الثلاث أنّ الحوار المُتأتيّ بوصفه صيغةً عالية الأداء بين الطرفين؛ إذ يحضر الحوار الصديق حيال الشخصيّات الرئيسة حافلاً بالخطاب البنّاء المتّسم بالتفاهم المتبادل بينهما ، والرّامي إلى ((**خلق نسيجٍ جديد يستمدّ خيوطه** [2])) من استيعاب الطّرف الأقوى المتمثّل بالصديق للشخصيّة الرئيسة ، بوصفها الطرف المحتاج للعلاقة، المُتشكّلة من خلال استماع الصديق إلى الطّرف الآخر، وفهم أفكاره جيّداً. فشخصيّة **هزيم** انفتحت على وعي حاضره بعينيّ **رئيف،** وأعادت تأويله من جديد بمنطقٍ مُباين عن الذي اعتاده ؛ نتيجة تغيّر الأحداث وتطوّرها. فرأيناه تحدّث عن مسائل كثيرة شغلت فكره، و لم يصل في مّرات عديدة إلى نتائج تُقنعه، من مثل:توقه السريّ إلى الغموض في آراءه السيّاسيّة التي تُمجّد التحرّر الفكريّ ، الذي يراه **رئيف** بعيداً تمامَ البُعد عن صديقه الذي يدّعي الانفتاح الكليّ على الحياة، بينما تَسري في جيناته السُلالة الدينيّة التي طَردها أملاً في أن يكون حرّاً ، و يصنع هويّته الاجتماعيّة الطموحة بعيداً عن التبعيّة التي يراها تتمثّل في الدّين والزّواج الذي زجره بعد هجر زوجته.بالمختصر كانت أسلوبيّة الحوار بين الطّرفين من خلال نوعيّة الأحاديث ، وبلاغتها، ذات وظيفةٍ ناجعة في تقوية التعاطف بين الشخصيّات[3] ، إلى حدّ أوقف فيه الصديق صديقه عند حدّه ، داعياً إيّاه إلى العودة إلى أصالته الفكريّة وخامته الدينيّة التي فرّ منها إلى عوالم ظنّ فيها نجاة ذاته، التي غرقت في متاهات الهويّة المفقودة بين أزمة المُجتمع العابث ،و الوضع السياسيّ الملوّث،والذّات المُضلّلة بين قلق المواجهة أو الانتحار.

اتّخذت حوارات **جيم** مع **هك** صّبغة جدليّة على سبيل المجاز- إن صحّ التّعبير-؛إذ إنّها انطلقت من مُحاولة خلع القشرة الاجتماعيّة الزّائفة للفتى **هك** التي غلّفه بها المجتمع، وذلك من خلال إظهار الخامة الحقيقيّة الغضّة المِطواع لا

---

[1]) يُنظر: عبّاس، فيصل،*الاغتراب ،الإنسان المعاصر وشقاء الوعي*،ط1،دار المنهل اللبنانيّ - لبنان، 2008،ص 62.

[2]) زيتوني، د. لطيف. *معجم مصطلحات نقد الرواية* ،ط1،دار النهار للنشر- لبنان، 2002، ص80.

[3]) *المرجع السّابق*، ص82.

المُعنّدة الشرسة على نحوٍ يُثير الشفقة.لقد جهد **جيم** في أحاديثه المطوّلة مع **هك** على معرفة نقاط ضعفه التي يرجع أغلبها إلى قلّة الثقة في المجتمع الذي حاول تدجينه وترويض طباعه ليكون نسخة طبق الأصل عنه.لقد أثبتت سلسلة حوارات **جيم** أنّ اللّغة الوحيدة التي احتاجها **هك** في حياته القاسية لغة الحبّ التي لم يعرفها في حياته؛لأنّ خطاب الحبّ هو الذي سيّر الفتى إلى نزع أفكاره العنصريّة التي تشرّبها وحلّت بديلاً يموّه به ضعفه.و تُطالعنا رواية " **الأمّ**"على أنّ الحوار بين **بافل** و **بيلاجي**، يتجلّى من خلال أمرين ، الأوّل: شخصيّ؛ يرتبط بحوار الذّات المقموعة، وذلك بإثارة **بافل** لمُشكلة أمّه الاجتماعيّة النفسيّة،إذ إنّها ترى نفسها مجرّد سند هشّ يحتلّ مكانة دُنيا في السلّم المجتمعيّ؛لكونها عاملة زوجة عامل مهمّش ، وقد صَارحها بأنّ أزمتها تلك آنيّة إنْ وَعت طريقه الشائك والعسير الذي سيسهّل دربه. أمّا الأمر الثانيّ للحوار ،فكان خطاباً تلقّفته الأمومة التي أزاحت صورة العاملة، واستعاضت عنها بالأُنثى المدجّجة بالحقيقة. فإذن،لقد كان حوار **بافل** ثُلاثيّ الأبعاد، إذ يُحصَر في بعده الأوّل بالتماسّ المباشر مع ولدها الذي كبر أمام مرأى عينيها، و بات يعرف ألمها ويجهد لشفائها منه،وفي الثّاني: يتعلّق بولدها الذي صار رَجُلاً يهدي ويرشد الآخرين من العمّال للحصول على حقوقهم التي هي حقوقها من خلالها،أمّا الثّالث: فيظهر فيه بطلاً ورمزاً سطّرت بطولته بدمائها.

3ـ الصديق، بوصفه كوناً مثاليّاً يُحتذى به:

إنّ الحديث عن الذّات الحقيقيّة أو المثاليّة أمرٌ متشعّب جداً،يقتضي أن نبيّن للقارئ أنّ المقصود بالصديق بوصفه كوناً مثاليّاً ليس ما يُعادل الذّات أو يوازيها، بقدر ما يمنحها حالةً من الاستقرار النفسيّ والانسجام الكليّ مع حياتها على نحوٍ بعيدٍ عن التصوّرات الطوباويّة المُتخيّلة.إذ يضبطها بعيداً عن حالة الشطط أو القلق الذي يساورها؛ أي يوجّهها فتعي جيّداً إلى أين تسير.

لقد قدّمت الروايات السّابقة ثلاثة أكوان مختلفة وهي:الصديق بوصفه كوناً تعايشيّاً(**رئيف شاهين**)، الصديق بوصفه كوناً مُنقذاً (**جيم**) ،الصديق بوصفه مُخلِّصاً (**بافل**).تتشابه الأكوان الثلاثة في أنّها كانت أشدّ أماناً من العالم الخارجيّ، و الكون الحقيقيّ حيثُ كان **رئيف** رؤفاً عطوفاً احتوى صاحبه، ووفّر له السّبل ليحسّن من حياته، ويغيّر خارطتها على عكس الوطن الذي لم يوفّر له الفرصة في أن يعيش سعيداً. ومن ناحيةٍ أُخرى يمثّل كون **رئيف** الكون المفقود في حياة **هزيم** فهو العائلة التي شتّتها وباعها ومن ثمّ باع نفسه. ويكتسب وجوده إلى جانبه بُعدا مكانيّاً وجوديّاً يربطه بأصوله وانتمائه إلى الرّيف البسيط،موطن الأمّ ،الأب ، ذكريات الطّفولة، ملامح المكان، وتفصيلاته المقرونة بطوباويّة الذّات النقيّة الطموحة.ويمثّل **جيم** كوناً انتقاليّاً أنقذ **هك** من نفسه ؛إذ حَماه من خطر الوقوع في أتون التفكير الغارق بالعنصريّة والقيم التضليليّة التي لولا **جيم** كانت من المُمكن أنْ تُطيح به ولاسيّما أنّه ما يزال طفلاً صغيراً. لقد أنقذه أيضاً من براثن المجتمع الذي شرّده، وأفقده أيّة صلة مع العالم، فعلّمه كيف يواجه التشرّد بحنكة وصبر ،جعلاه يعرف بفطرته كيف يُحاكي الواقع ويتواصل معه.أمّا الكون الأخير، فهو كون **بافل** بوصفه المخلّص من العدميّة التي عاشتها الأمّ،فولدها علّمها أنّ الطريق مفتوحٌ أمامها ولن يعود بها الزمن إلى الوراء بل سينمو باطّراد،وكلّما تقدّمت في فهم كونه كلّما سُرّعت السّاعة التي ترتقبها في أن تعبّر له عن امتنانها الشديد وتقدّم شيئاً للثورة الاشتراكيّة قضيّة ولدها.إن **بافل** حّررها من إسار الزمان الذي قهرها وأخضعها،وباتت معركتها محسومةً لصالح انتصارها عليه.

وبالمُجمل إنّ الأكوان الثلاثة تختلف في تطويع المثاليّة كسمةٍ ترتقي إليها الذّات على وفق ما يأتي :

إنّ كون **رئيف** التعايُشيّ أنقذ **هزيم** من حالة الاغتراب الذاتي بعد أن انقطعت ذاته الفعليّة عن الحقيقيّة، وأصبح أسير الماضي ومقيّد الحاضر ومعدوم المستقبل.وكون **جيم** التعايشيّ المُنقذ خلّص **هك** من العبوديّة التي مورست على

الإنسان الأبيض،وردّ إليه كينونته وإنسانيّته التي لطالما افتقدها، فكان كونه كونيّاً عالميّاً؛ تخطّى فيه النظرة الإثنيّة(العرقيّة)، و وحّدها تحت راية الإنسان.وأخيراً،يمثّل كون **بافل** التعايشيّ المُنقذ والمخلّص انبعاثاً **لنيلوفا**، قَرأ ذاتها الاجتماعيّة وحصّنها،وأفصح عن ذاتها الحقيقيّة وخلّدها.

4. ديناميّة فكر الشخصيّات الرئيسة و حركيّتها:

أشبعت الصّداقة فكر الشخصيّات الرئيسة ؛ بما منحته جوّ اتّصاليّ مع الذّات الاجتماعيّة على نحوٍ بنّاء، جعل موقعها أكثر قوّة وعقلانيّة ، وأشدّ انسيابيّة في تفهّم العالم والمجتمع من منظور التجربة الخاصّة التي عاشتها في مُلازمة الصديق، إذ توافرت تلك الحركيّة في صيرورة انتقالها التي لم تعنِ التحوّل الجذريّ ، بقدر ما نمّت على طور جديد في تشكيل الشخصيّة؛ أضاء عالمها أمام نفسها ، ونقله مباشرة إلى القارئ الذي استثارته المفارقة التي نقلت الشخصيّة من مستوى اجتماعيّ، إلى نطاق فكريّ تحوم من خلاله، وذلك على وفق ثنائيّات ثلاث متصارعة فيما بينها هي الآتي:

1ـ قهر مرحلة الاضطّهاد: لقد انقلب موقع شخصيّة **هزيم** في صداقته **لرئيف** من المقموع، الذي كبّلته الظروف السياسيّة والاجتماعيّة إلى إنسانٍ آخر، وعى جيّداً أنّ صديقه الذي يشابهه في الواقع الاجتماعيّ البائس، يحاول إيقاظه، **و تنبيهه أنّ مشاعر التبخيس الذاتيّ ، التي يعيشها الآخر المقهور أو الأكثر قَهراً ، الذي نعني به رئيف اللّاجئ ، الباحث عن وطنٍ يحتويه ، قد امتثل لنداء الذّات المقهورة، ذات هزيم ؛ متحوّلاً في معادلة الصداقة الافتراضيّة إلى الطرف الأقوى ضعفاً، وكان الهدف من ذلك تحطيم الصورة غير المقبولة عن الذّات التي يعكسها للإنسان المقهور مَنْ هو أكثر غبناً منه ؛أي رئيف، ممّا أعطى هزيم، انطباعاً ولو وهميّاً ، بالإفلات من ذلّة القهر.**[1]

2ـ **من دور الضحيّة إلى موقع الفاعليّة:** تمكّنت صداقة **هك لجيم** من تحويل الفتى الصغير من مشرّد قلق ، مجهول الهويّة الاجتماعيّة التي لم تمنحه صفةً شرعيّة ، تميّزه عن غيره من النّاس ، إلى إنسانٍ حرّ أصبح يفكّر في طريقة عيشه ، التي تنعدم فيها وسائل العيش السليم . إنّ صدق مشاعر الأبوّة التي كنّها **جيم** إلى صديقه **هك** ، عمّقت من إنسانيّته ، وجعلته يمارسها على نحوٍ يحاول فيه أن يردّ صنيع الصديق ، محاولاً تحريره من العبوديّة ، بعد أن حرّره من عبوديّة الأفكار المجتمعيّة المغلوطة، التي كادت تحجب كينونته الوجوديّة.

3ـ **من الهامش إلى المركز** : ونقصد بذلك صيرورة التحوّل التي نقلت شخصيّة **بيلاجي** من حيّز التهميش الأنثويّ والإنسانيّ، الذي هدر كينونتها، وأسكنها في الجهل والصمت الدّال، على الخضوع و الإذلال إلى مركزيّة فهمها و استيعابها حالة تهميشها تلك ،باحتكاكها مع الأوساط الثقافيّة والفكريّة بعد اعتقال **بافل**؛ إذ وَعت من خلال إدراكها العفويّ **مفهوم المُهمّش، الذي يُقصد به واقع امرأة مضطهدة ، استوعبت مفهوم المركز، الذي أفهمها هامشيّتها في الحياة، و ضرورة سعيها الحثيث إلى التحرّر من إساره ؛ إذ تجلّى فهمها إيّاه من خلال الوعي الطبقيّ والثوريّ لفعل السلطة آنذاك، التي حرمتها الحياة الذاتيّة والاجتماعيّة.**[2]

---

[1] يُنظر: حجازي، د. مصطفى. *التخلّف الاجتماعيّ ، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور* ،ط9، المركز الثقافي العربي ـ الدّار البيضاء ـ المغرب، بيروت، لبنان ، 2005،ص 52.

[2] يُنظر: رحماني، علي و صالحي، ناجي. *الهويّة وجدليّة المركز والهامش في رواية نجمة للكاتب ياسين* ، مجلّة المخبر، ع 10، ـ الجزائر ،جامعة بسكرة ، 2014، ص 162.

الاستنتاجات والتوصيات:

خلص البحث إلى النتائج الآتية:

ـ تكتسب الصداقة بُعداً وجوديّاً يُخرجها من نطاق وصفها بالعلاقة الاجتماعيّة الأخلاقيّة ، إلى مُقاربة كنه مفهومها بالمفهومات الوجوديّة الكُبرى من مثل: الحقيقة ، الحريّة، والإرادة.

ـ إنّ طبيعة العلاقة بين الصداقة و الذّات، استنباطيّة افتراضيّة ، قوامها الانطلاق من حيوات الشخصيّات الرئيسة ، بوصفها الطرف الآخر الذي يتلقّف خطاب الصديق ، وصولاً إلى الغوص في تفصيلات الذّات الاجتماعيّة والنفسيّة، ومُلامسة نقاطٍ تشغلها على المستوى الحياتيّ، تتعلّق بالذّات المثاليّة أو الحقيقيّة ، يعدّ الوصول إليها أمراً صعباً و ضرباً من المحال.

ـ يُعادل الصديق في كثيرٍ من الأحايين شخصيّة الآخر المقابلة للذّات ؛ وذلك بفضل فاعليّة حوارية خطابه التي تمتح من مستوىً يفوق المعادلة الافتراضيّة لعلاقة الصداقة ، المتشكّلة من وجود طرفين متعايشين في ضمن نطاقٍ من الانسجام ، إلى مستوى من المحاكمة المنطقيّة، التي يؤدّي فيها الصديق وظيفة المُحاكي للمُضمَر في ذات الشخصيّات الرئيسة.

ـ يمكنُ القول : إنّ الصداقة تتّسم بالشعريّة في إيصال غرض العلاقة الفكريّ، والاجتماعيّ في تفهّم الشخصيّات الرئيسة؛ و يتأتّى ذلك من خلال اقتران أسلوبيّة خطاب الصديق إلى صديقه، بتقاطعاتٍ مع معطيّات نصيّة، فلسفيّة، و أنثروبولوجيّة ، تُفلسف العلاقة بتشريح مكوّنات الذّات ، ومحاورتها في سياقاتٍ اجتماعيّة ونفسيّة ، تتعالق مع قضايا ومسائل مهمّة من مثل: القيم الأخلاقيّة.....

ـ تقترن الصداقة بفضاء التّجربة، ويتجلّى ذلك بإقحام الصديق الشخصيّات الرئيسة في مواقف جديدة عليها، تستثير استعدادها إلى تلقّيها و استقبالها على نحوٍ تُثبت فيه نفسها أمام ذاتها بالدّرجة الأولى ، وفي العالم بالدّرجة الثانية؛ هذا ما يجعل فضائي الصداقة والتجربة يلتحمان في فضاء آخر ثالث ، هو فضاء المغامرة المجازيّة التي تصقل التجربة الاجتماعيّة لدى الشخصيّات الرئيسة ، و تقوّي منظور الرؤيا إلى نفسها والعالم.

المصادر والمراجع:

المصادر العربيّة والمراجع العربيّة:

ـ بحراوي، حسن *بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصيّة)*،ط1،المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء ـ المغرب ،1990.

ـ التوحيدي،أبو حيّان. *الصداقة والصديق*،د.ط، المطبعة النموذجيّة. القاهرة، 1972.

. جيرمونسكي، فيكتور مكسيموفيتش. *علم الأدب المقارن، شرق و غرب* . ترجمة و تقديم: د. غسّان مرتضى، ط1، 2004.

ـ حجازي، د. مصطفى. *التخلّف الاجتماعيّ ، مدخل إلى سيكولوجيّة الإنسان المقهور* ،ط9، المركز الثقافي العربي ـ الدّار البيضاء ـ المغرب، بيروت، لبنان ، 2005.

ـ حسيبة، د. مصطفى. *المعجم الفلسفي*، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع ـ الأردن ـ عمّان،2009.

ـ حيدر ،حيدر .رواية *هجرة السّنونو*،ط1، دار ورد للطباعة و النّشر ـ دمشق ـ سورية ،2008.

ـ الرّاهب، هاني. *شرخٌ في تاريخ طويل*،ط1، دار أبجد . بيروت.

ـ ريكور، بول. *الذّات عينها كآخر*،تر:د.جورج زيناتي،ط1،مركز دراسات الوحدة العربيّة،المنظمة العربيّة للترجمة ـ بيروت،2005.

ـ زيتوني، د. لطيف. معجم *مصطلحات نقد الرواية*،ط1،دار النهار للنشر ـ لبنان، 2002.

ـ أبو سريع،د.أسامة سعد. *الصّداقة من منظور علم النّفس*،سلسلة عالم المعرفة العدد179الكويت،1993.

ـ صليبا، جميل. *المعجم الفلسفي* ،د.ط، دار الكتاب اللبنانيّ ومكتبة الأسرة،1982.

ـ الصوص، سمير زهير. *طائفة من الأمثال و الكنايات والعبارات و الألفاظ الشعبيّة الشّائعة في قلقيلية* ، د.ط، د. د، 2015.

ـ عبّاس،فيصل.*الاغتراب ،الإنسان المعاصر وشقاء الوعي*،ط1، دار المنهل اللبنانيّ ـ لبنان، 2008.

ـ غوركي،مكسيم .*رواية الأمّ*.تر:فؤاد أيّوب والمحامي سهيل أيّوب،دار رادوغا، د.ط ـ موسكو،1983.

ـ فتحي، إبراهيم. معجم *المصطلحات الأدبيّة*.ط1،المؤسّسة العربيّة للناشرين المتّحدين،1986.

ـ ماركوني،جون. *الوجوديّة*،تر:د.إمام عبد الفتّاح إمام،مر:د.فؤاد زكريّا،د.ط،د.د ـالكويت،1982.

ـ مجمع *اللغة العربيّة*.المعجم الفلسفيّ،د.ط، المطابع الأميريّة . القاهرة . مصر، 1983.

ـ *المنجد في اللّغة والأعلام*.طبعة جديدة ومنقّحة،ط42،دار المشرق ـ بيروت،2007.

المجّلات والدوريّات العربيّة:

ـ رحماني، علي و صالحي، ناجي. *الهويّة وجدليّة المركز والهامش في رواية نجمة للكاتب ياسين* ، مجلّة المخبر، ع: 10ـ الجزائر، جامعة بسكرة، 2014.

ـ المرعي، د. فؤاد. *في نظريّة الأدب المقارن*. المرعي، د. فؤاد.مجلّة المعرفة، ع :295ـ دمشق، 1986.

المصادر والمراجع الأجنبيّة:

—Farb .S .*The escape motif in the American novel, Mark Twain to Richard Wright*. Ohio StatePress,1972.

-MORISON.T. *Re -making Twain ,adventures of Huckleberry Finn*, complete text .Introduction and critical essay, Boston,1988.

-TWAIN .M .*Tom sawyer and Huckleberry Finn* Berwick street London,1991.

المجلات والدوريّات الأجنبيّة:

-HNG, Y. *An analysis of the factors affecting growth* .Journal of Language Teaching and Research Filand Vol.5,NO.7, September,2010.

-VELTMAN. *A.Aristole and Kant on self disclosure in friend ship*.The Journal of Value Inquiry Netherland-Canada,Vol32,2004.